

الى فاقدى الذاكرة وانصافا للتاريخ ،

الوزير اللواء عصام ابو حمرة

الى الذين يدعون ان المسيحيين تبرحوا بالحكم في لبنان اربعين عاما وان المسلمين تحلوا بالصبر وتحملوا جورهم خلالها دون اعتراض، متناسين كمن فقدوا ذاكرتهم ان المسلمين لم يتركوا للمسيحيين مجالا ليحكموا ولم يهدؤوا ولم يتركوا هذا البلد ينعم بالاستقرار منذ ان استقل. الى هؤلاء ولمن سمعهم وللتاريخ راينا مفيدا ان نسرده باختصار ما حدث خلال الاربعين عاما الماضية من محاولات اسلامية ثورية لقلب نظام الحكم في لبنان ووضع يدهم على السلطة فيه بمساعدة الاخوة العرب وفي طليعتهم الشقيقة سوريا.

ما ان استقل لبنان عام ١٩٤٣ حتى تم تنفيذ وعد بلفور في فلسطين عام ١٩٤٨ واعلان قيام دولة اسرائيل على ارضها، فتهجر مئات الالوف من الفلسطينيين الى لبنان حيث استوعبهم ورعى وجودهم بما امكن. وما ان استقر وضعهم حتى جاء انقلاب عبد الناصر وثورته العربية عام ١٩٥٢، وما تبعها في العالم العربي من خضات وهزات وكان لبنان في طليعتها مسرحا للاضرابات والمظاهرات لنصرة الفلسطينيين باسم العروبة، وتطورت الامور معها بدفع من المسلمين لتفويض استقراره بالتحرش بامنه ومحاولة عبد الحميد السراج قلب نظامه عام ١٩٥٨ بالثورة الشعبية على الرئيس كميل شمعون لمنع محاولته التجديد. وما هدؤوا حتى حقق لهم خلفه فؤاد شهاب مبدأ ال ٦/٦ مكرر في كل مراكز الدولة وشؤونها ومشاريعها. هذا المبدأ الذي زاد في التقسيم واثارة النعرة الطائفية. فتابعه عام ١٩٦٢ محاولة انقلاب القوميين وما سببته من خريطات وعدم استقرار وما كانت تهدأ حتى جاءت حرب العرب الشهيرة على اسرائيل عام ١٩٦٧ التي انتهت بهزيمتهم الفاضحة. فاداروا وجههم وخاصة الشقيقة سوريا الى لبنان لفش الخلق فيه وتحويله الى مقر للفلسطينيين بديلا عن فلسطين. فبدؤوا عام ١٩٦٩ عمل المقاومة في لبنان وعلى لبنان اول لان عرفات كان يعتبر ان طريق القدس تمر في جونية. فكان دخول السلاح الى الفلسطينيين في المخيمات ودخول الجيش السوري معها الى لبنان والتفاف المسلمين حولهم فعششوا فيه وما زالوا.

ولا ضرورة هنا لتذكير سماحة الشيخ وغيره ماذا فعل الفلسطينيون ومن ساندتهم باسم الدين والعروبة في لبنان على حساب لبنان واللبنانيين فقاومهم المسيحيون حتى اخرجهم " شارون " من الجنوب وببيروت عام ١٩٨٢ والسوريون من الشمال ليستفردوا بعدهم فيه ويبقوا مسيطرين على سلطته ومقدراته حتى تاريخه دون منازع. وكيف يمكن ان نقول ان من تولى السلطة تنعم بخيراتها وعهد الرئيس كميل شمعون انتهى بالثورة الشعبية المسلمة والرئيس سليمان فرنجية اضطر الى ترك بعيدا هربا من قصف قصرها بمدفعية الثوار المسلمين. والرئيس الياس سركيس هدد بالاستقالة اذا لم يتوقف قصفهم على اللبنانيين في الاشرافية طيلة مئة يوم . والرئيس بشير الجميل اغتيل منهم قبل ان يقسم اليمين. والرئيس امين الجميل بحكم ثورتهم عليه لم يستطع ان يؤمن انتخاب خلف له. والحكومة الانتقالية رفضوها قبل ان يعلن عنها باجبار اعضائها المسلمين على الاستقالة . والرئيس رينيه معوض قتل وهو بعهدتهم قبل ان يتسلم السلطة.

فكيف لعاقل ان يقبل ما قاله سماحة الشيخ بان المسلمين قبلوا حكم المسيحيين وسكتوا على تبرحهم بلبنان طيلة اربعين عاما. وهل يريدنا والحال هذه ان نسرده له التفاصيل المتممة لهذا الموجز من مواقف رؤساء

الحكومة تجاه الرؤساء في عدم توقيع المراسيم اذا ما تساوت الاعداد في التعيينات. وكيف قاطعوا الحكم شهورا لتعيين ناطور للمساواة العددية دون مبررات قانونية. واذا اراد سماحته ان ننشر له احصاء عدد الموظفين المسلمين في دوائر الدولة ووزاراتها وقواها الامنية فسيغير رايه حتما.

واذا اخذوا على المسيحيين تمسك رؤساء الجمهورية بقيادة الجيش والمصرف المركزي وبعض المديرات الحساسة، فذلك ليس الا للمحافظة على لبنان ومقدراته وسيادته واستقلاله، نتيجة ما قام به المسلمون منذ علم ١٩٥٨ من محاولات لقلب نظام الحكم واستيلائهم على السلطة فيه لسورنته او تعريبه.

وقد ثبت للمسيحيين ذلك بعد ان تم تعديل الدستور عام ١٩٩٠ على اساس الطائف وتم نقل مقادير سلطة القرار فيه من المسيحيين الى المسلمين باشراف الشقيقة سوريا. فتمسكوا خلافا لاتفاق الطائف بالسوريين في لبنان الذين حاولوا الانتقام من المسيحيين الذين رفضوا وجودهم كاوصياء سواء في التعيين او في الانتخبل او في الملاحظات التعسفية وهجروهم من بلدهم. واستباحوا المال العام بواسطة الصناديق فاقوعوا البلد تحت عجز فاق ٣٠ مليون دولار. وراحوا يبيعون بالتخصيص مقدرات الدولة ومؤسساتها لسد هذا الدين. وجنسوا الالاف من المسلمين ووزعوهم على المناطق الحساسة لقلب ميزان القوى فيها لمصلحتهم. والتهموا التوظيف بالتعيين العشوائي البعيد عن مبدأ الكفاءة. وتمادوا بالصاق تهم العمالة باسرائيل لمن يعارضهم لاحباطه. وتمسكوا باسم الاخوة واستراتيجية الدفاع عن الخصرة السورية ونكاية بالمسيحيين وحفاظا على مصالحهم المكتسبة وديمومتها بالمطالبة ببقاء الجيش السوري في لبنان حتى المناداة بضمه الى سوريا خلافا لكل اتفاق وتعهد.

فهل يجوز الطعن بمصداقية المسيحيين ولبنانيتهم وبما فعلوه للحفاظ على مقدرات لبنان وسيادته منذ الاستقلال؟ وهل يحق للمسلمين وخاصة الشيخ صابونجي ان يضيقوا صدرا حتى من سلبية المسيحيين تجاه ما حدث خلال عشرة اعوام؟ وهل يجوز ان ينسوا التاريخ قبل ان يجف حبره؟